دورة عقائدية مُختصَرة تتحدَّث عن اهَم المطالب العقائدية التي يَجب على الشيعي و المؤمن ان يعتقد بها و ان يكون مُحيطا و عارِفا بِدقائقها و لو بِشَكل اجمالي .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالَمين و صلى الله على سيّدنا و نبيّنا محمّد و آله الاطيَبين الاطهرين و اللعنة على اعدائهم و اعداء شيعتهم إلى قيام يوم الدين .

فيما سلَف من دروس العقائد كان الكلام اولاً في مقدمة تَتحدّث عن الدوافع التي تدفَعُنا لِدراسة عقيدتنا او بِعبارة اخرى الدوافع التي تدفع الإنسان للفَحص عن عقيدته و عن الفكرة التي يحملها و يَدينُ بها , و بعد هذا الكلام انتَقلنا في الحديث عن الطرائق و المسالك التي سلَكها اهل العلم و اهل المعرفة على اختلاف اذواقهم و مَشارِبهم في الاستدلال على عقائدهم , ثم تَحدّثنا في الفَرق بين العلم و المعرفة و بَيَّنّا المقصود من العلم ما هو , و المقصود من المعرفة ما هي , ثم دخَلنا في اول مبحث من مباحث العقائد و هو التوحيد و درَسنا عقيدة التوحيد بِنَحو اجمالي ابتداءا من الادلّة الدالة على وجوده سبحانه و تعالى و كذلك الادلّة الدالّة على وحدانيته جلّتْ قدرتُه وتعالى شأنه , ثم الكلام في ما وردَ في روايات اهل بيت العصمة صلوات الله و سلامه عليهم اجمعين في معنى التوحيد و في صفات الموَحِّدين , ثم عرَّجنا على مباحث التوحيد الذاتي و التوحيد الصفاتي و التوحيد الافعالي , و تَحدّثنا عن الصفات الذاتية و عن الصفات الافعالية , و تكلَّمنا بعض الشيء عن الصفات الاصلية و هي صفَة العلم و القدرة , صفة الحياة و كل الصفات الإلهية مرَدُّها إلى العلم الإلهي و إلى القدرة الإلهية , تقريبا هذه اهَم المطالب التي كُنّا قد تناولناها في الدروس السابقة , و في الدرس الماضي هذه السنة , اول درس , و الذي كان بِمَثابة صلَة ربط بين الدروس الماضية و بين دروسنا في هذا الموسم , كان الكلام في معنى التوحيد و هو الإخلاص , و ما المراد من الإخلاص بِحَسب ما وردَ في احاديث المعصومين صلوات الله و سلامه عليهم اجمعين , كما بيَّنتُ فيما مرَّ من الدروس , دراسة العقائد إذا ارَدنا ان

ندخل في كل تفاصيلها و في كل جزئياتها تَحتاج إلى وقت طويل , اولاً لِكَثرة النصوص القرآنية و النصوص المعصومية في باب الإعتقادات , و ثانياً لِكَثرة الكلام و المُحاجَجة و المناقشات في اثبات هذه المسائل او في بيان تفريعاتها و ما يتعلّق بِكُل جزئيات اعتقاداتنا الاصلية و الفرعية , هناك عقائد اصول , و هناك عقائد فروع تتفرَّع عن اصول العقائد , و قد بيَّنتُ لكم في الدرس الماضي انّنا في هذه الدروس نحاول ان نُلقي نظرة اجمالية حول العقائد التي يجب على الإنسان ان يحيط معرفةً بها و لا ندخل في تفاصيل المُحاجَجات و المناقشات مع المخالفين إلاّ بِحَسب ما يسنح به الوقت او بِحسَب ما تلحُّ به الضرورة , قد نذكر في بعض الاحيان في اثناء الكلام بعضا من هذه المطالب بِحَسب ما يسنح به الوقت او ما يكون ضروريا .

في هذا اليوم اتناول عنوانا جديدا هو ايضا من شؤونات مباحث التوحيد , العنوان الذي نتناوله في هذا اليوم , القضاء و القدَر , و هذا العنوان عنوان وسيع و الكلام فيه كثير و هو من المباحث التي حارَتْ فيها عقول الكثيرين من الفلاسفة و اهل الدراية و الفَهم , بابٌ وسيع جدا هذا الباب , باب القضاء و القدَر , و نحن لا نريد ان نتناول كل تفاصيله و إنّما نحاول ان نستَخلص صورة إجمالية مِمّا جاء في آيات الكتاب الكريم او مِمّا جاء في احاديث المعصومين صلوات الله و سلامه عليهم اجمعين او مِا جاء في اقوال علمائنا اعلى الله تعالى مقاماتهم .

مبحث القضاء و القدر له عُلقة بِمَبحث العدل , اعتقاد العدالة في الله سبحانه و تعالى , و له عُلقة ايضا بِمَبحث الجبر و التفويض , و مباحث الجبر و التفويض التي هي تتعلّق بأفعال العباد , بأفعالنا , هل نحن مجبورون على افعالنا او هل انّنا مُفوَّضون في خلق هذه الافعال التي تصدر منّا , و كذلك له عُلقة هذا البحث , بحث القضاء و القدَر , من وجه و آخر بِمسألة التفويض لأهل الولاية من عباد الله و خَلقه كالائمّة المعصومين صلوات الله و سلامه عليهم اجمعين , الملائكة المُقرَّبون الذين لهم الولاية في التصَرُّف بِحَسب ما اعطاهُم الله سبحانه و تعالى من قدرة التصَرُّف , قد يكون لِمباحث القضاء و القدَر ايضا مدخلية من وجه من الوجوه في هذه المسألة و إلاّ مسألة القضاء و القدَر ترتبط بِمَباحث العدل الإلهي و بِمَباحث الجبر و التفويض , و كما قُلت ,

نحن لا نريد ان ندخل في كل تفاصيل هذه المسألة إنّما نحاول ان نأخذ صورة اجمالية عن معنى القضاء و القدَر .

قبل ان ندخل في بيان المعاني التي تتعلّق بِهذا العنوان , لغةً ما معنى القضاء و ما معنى القدَر ؟

القضاء في اللغة , في لغة العرب و في كلام العرب , القضاء هو إتمام الشيء او الفراغ من الشيء , فلان قضى الامر الفلاني يعني اتَمَّهُ , يعني قد فرغَ منه و لذلك يُقال لِهذا الذي يفصل في الخصومات بين الناس و يقطع نزاع القَوم , يُقال له (القاضي) و من هنا يُعرَّف القضاء في الكتُب الفقهية بأنّه فَصلُ الخصومات و النزاعات بين الناس , حينما نفصل الخصومة او نفصل النزاع يعني نَقضي عليها , نوصِلها إلى حَد , فالقضاء في لغة العرب تأتي بِمَعنى الإتمام , قَضاهُ اتَمَّهُ , قَضاهُ فَرِغَ منه , و من جملة معاني هذا الإتمام هو هذا الحُكم في دوائر القضاء , المُرافَعات عند القُضاة , لكن الكلام المقصود هنا من القضاء و القدَر في السُنَن الإلهية لِخلقَة هذا الكون او في السُنَن الإلهية الحاكمة في هذا الوجود , في هذه العوالِم , المقصود من القضاء هنا , في باب العقائد , او العنوان الذي وضَعناهُ لِدَرسنا هذا (القضاء و القدر) المقصود يعني الإتمام او الفراغ من الشيء في دائرة الوجود , في دائرة الخلق , في دائرة هذه العوالِم التي خلَقَها الله سبحانه و تعالى و جعلَ لها سُنَنا و قوانين تَحكمُها , هذا المعنى اللَغوي لِكَلمة (القضاء) أمّا كلمة (القدَر) _ كلمة القدر قد تكون بِمَعنى المقدار في اللغَة , يعني قدَر الشيء مقدارُه , لكن المقصود هنا من القدر هو التقدير , تقدير الأمور _ تقدير الامور و جَعلُ الاشياء بِمَوازين مُعيّنة في ازمَنة مُعيّنة , في امكنَة مُعيّنة , في مراتب مُعيّنة , في شرائط مُعيّنة , هو هذا التقدير , و المقصود هنا من التقدير ايضا التقدير في الخلق , التقدير في السُنَن الإلهية الحاكمة على هذا الوجود , تقريبا هذا المعنى الإجمالي لِمَعنى القضاء و القدَر .

أمّا ما هو القضاء و القدَر و هو من عقائدنا الضرورية , في رواياتنا الشريفة انّه لا يكون مؤمنا مَن لا يؤمن بالقضاء و القدَر و لذلك في الروايات (القدَرُ خَيرُه و شَرُّه و حلوهُ و مُرُّه , كلّهُ من الله سبحانه و تعالى) القدَر كلّهُ , خَيرُه و شَرّهُ و حُلوهُ و مُرّهُ , حُلوهُ و مُرّهُ في نظر الإنسان , شَرّهُ في نظر الإنسان و إلاّ تقدير الباري لا شرَّ فيه , تقدير الباري لا مرارة فيه لكن ما

يظهر للإنسان من مرارة ما يواجهُه في الحياة او ما يَراهُ من شَرٍّ ظاهر في الحياة فيَقول , هذا شَر و يقول هذا مُر و هذا خَير و هذا حلو , و هذا كلّهُ بِتَقدير الله سبحانه و تعالى و هذا المعنى واضح في الاحاديث , انّ الخير و الشر و الحلاوة و المرارة كلّها بِتَقدير الباري سبحانه و تعالى , ربّما افضل حديث أُبَيّن فيه معنى القضاء و القدَر , الحديث المعروف و هذا الحديث ربّما كثير منكم قد سَمعَهُ او يَحفَظُه بعضكم عن أمير المؤمنين صلوات الله و سلامه عليه حينما مرَّ بِجانب جدار مائل ــ جدار مائل , الجدار المائل قطعا مُقارِب للوقوع , يهوي , فلَمّا مرَّ بِجانب جدار مائل اسرَع و ابتَعَد عن هذا الجدار المائل إلى جدار آخر ليس بِمائل , سارَ بِجانبه , فَقالوا له يا أمير المؤمنين , فرَرتَ من قضاء الله ؟ قال نعم , فرَرتُ من قضاء الله عزَّ و جل إلى قدَر الله عزَّ و جل , حائط مائل سارَ بِجانبه الامير عليه السلام فَما إن التفَتَ إلى مَيَلان هذا الحائط اسرَعَ مُبتَعدا عنه إلى حائط آخر ليس بِمائل , أفرَرتَ من قضاء الله يا أمير المؤمنين ؟ قال نعم , فرَرتُ من قضاء الله عزَّ و جل إلى قدَر الله عزَّ و جل , هذه الرواية على اختصارها اولاً فيها مثال عملي , و الرواية مُختصَرة و تُبَيِّن لنا معنى القضاء و معنى القدَر في عقيدتنا .

المراد من القضاء هنا , في البداية نفهم المثال الذي جاء مذكورا في هذه الرواية الشريفة , أمير المؤمنين عليه السلام تَحرَّك من جانب هذا الجدار المائل إلى جانب جدار ليس بِمائل , الجدار مَبني من الطين , من الطابوق , من الآجر , من أي نوع من انواع الحجارة او الصخور , الحجارة و الصخور هذه إذا وقعَتْ على بدَن الإنسان , وقعَتْ على الإنسان ربّما تُهلك الإنسان باعتبار انّ الإنسان مُنفَعل , إذا وقعَتْ عليه الحجارة , وقعَتْ عليه الصخور , الإنسان قابل للإنفعال , إذا وقعَتْ هذه الاحجار على بدَنه ربّما تُهلِكه او ربّما تؤذيه اذى شديدا , و الجدار هنا مائل , و طبيعة الجدار إذا كان مائلا سيَكون وقوعه قريبا , يعني وَضعُه يكون مُقارِبا للوقوع , فإذا مرَّ بِجانبه انسان و وقعَ هذا الجدار على ذلك الإنسان , إمّا ان يُهلِكه و إمّا ان يؤذيَهُ اذيّة شديدة , بالنتيجة يتعرّض الإنسان لأذىً , هذه الحالة , حالة جدار يقَع على الإنسان و يؤذي الإنسان , هذه قوانين و سُنَن موجودة في هذا العالَم , تَحكم هذ العالَم , هو الجدار من أي شيء يُصنَع ؟ يُصنَع من الحجارة , و إذا صارَ هذا الجدار مائلا , بِحَسب القوانين الحاكمة في هذا العالَم و بِحَسب طبيعة

هذا العالَم هذا الجدار سيَقع , و إذا مرَّ انسان بِجانبه حتماً سيَقع على الإنسان في حال الوقوع , و إذا وقعَ على الإنسان حتماً سيَؤذي الإنسان , إمّا ان يُهلِكه , إمّا ان يؤذيَهُ اذىً شديدا و هذا قانون حاكم يحكم طبيعة الإنسان و يحكم هذه الحياة , و سائر القوانين الاخرى التي تحكم هذه الحياة , سواءاً في السماوات و افلاكها , في هذه المجموعات الفضائية المُتباعدة , في حركة الافلاك , في حركة الارض , في قوانين الجذب بين هذه الاجرام السماوية , في القوانين التي تحكم حياة الإنسان , هذه السُنّن هو هذا الذي يُقال له القضاء الإلهي , يعني التدبير الكُلّي لِهذا الوجود , القوانين و السُنَن الإلهية التي سارَ عليها هذا الوجود هي هذه التي يُقال لها (القضاء الإلهي) .

و أمّا القدَر , القدَر هو تقدير الجزئيات التي تكون مُتفرّعة عن هذه القوانين , يعني انّ الإنسان إذا سارَ بِجَنب هذا الجدار , تقدير القوة الموجودة في بدَن الإنسان ان بدَن الإنسان لا يَحتمل الصدمَة , البدَن الإنساني (إنّا كلَّ شيءٍ خلَقْناهُ بِقَدَر) يعني ما من شيء في هذا الكون و ما من مخلوق خُلِق إلاّ و خَلْقُه في حدود , في مقادير مُعيّنة , الطعام الذي يتناوَلُه الإنسان طعام محدود , بِقَدر مُعيّن , الهواء الذي يتنفّسُه الإنسان بِقَدر مُعيّن و إلاّ الإنسان لا يتنفّس من كل منافذ بدَنه , يتنفَّس من بعض المنافذ في بدَنه , ليست كل اجهزة البدَن هي التي تقوم بِعَملية التنفّس , جهاز خاص لِهذه العملية , عملية الهضم ليست كل اجهزة البَدن تقوم بِعَملية الهضم , و هكذا النباتات , الحيوانات , البحار , البَراري , النباتات , الجمادات و كل ما في هذا الكون , لِكُل مخلوق تقديرات مُعيّنة , هناك تقديرات زمانية , هناك تقديرات مكانية , هناك تقديرات في قوة الفعل لِهذا المخلوق , في أي شيء يؤثّر , كل مخلوق يؤثّر في مجموعة من الاشياء و إلاّ لا يستطيع المخلوق ان يؤثّر في كل شيء , و كل مخلوق ينفَعل من مجموعة اشياء ايضا , هذا كلّهُ داخل في مسألة التقدير , فالأمير عليه السلام حينما تحرَّك من هذا الجدار إلى جدار آخر , التقدير هكذا , انّ البدَن الإنساني إذا مرَّ بِجانب الجدار الذي يسقط و سقطَ عليه , البدَن الإنساني قدرَتُه على التحَمُّل محدودة , لذلك ينتقل هذا البدَن ينتقل إلى جانب جدار لا يُتوَقّع ان يقَع هذا الجدار , لا يُتوَقّع ان يهوي هذا الجدار و في هذا الحال قوة البدَن و تقدير الباري

سبحانه و تعالى لِهذا البدَن الإنساني حينما يكون بِجانب الجدار الذي لا يهوي تبقى سلامة هذا البدَن لأنّ التقدير المُخصَّص لِهذا البدَن , ما لَم يُصدَم بِصَدمة يبقى على سلامَته , يبقى مُحافظا على هيكله و على خواصّه , هذا النوع الثاني من السُنَن هو الذي يُقال له (القدَر الإلهي) هناك قضاء إلهي و هناك قدَر إلهي , فالسُنَن الكليّة التي تحكم هذا الوجود و التي تحكم هذا العالَم , هو هذا الذي يُقال له (القضاء) نعم هناك مَعانٍ مُتعددّة لِمَعنى القضاء و لِمعنى القدَر , هناك مَعانٍ في لغة العرب لِمَعنى القضاء و القدَر غير هذه المعاني و نحن لَسنا بِصدد مبحث لغَوي , كما قلتُ قبل قليل نحن نتناول المسائل العقائدية بِصورَتها الإجمالية , الحد الذي يجب على الناس ان يعرفوه من عقائدهم و إلاّ الدخول في تفاصيل هذه المسائل يحتاج إلى وقت طويل و نحن لا نملك وقتا طويلا , دَرسٌ واحد في الاسبوع فقط .

فَهُناك مَعانٍ للقضاء والقدر في لغة العرب غير هذه المعاني , يمكننا من خلال البحث في كتُب اللغَة ان نَجد مَعانٍ اخرى للقضاء و القدَر , هناك استعمالات للقضاء و القدَر في الكتاب الكريم ايضا , إذا ارَدنا ان نتناول الآيات الشريفة التي وردَتْ فيها مادة (القضاء) او مادة (القدَر) هناك استعمالات مختلفة , نحن لَسنا بِصدد بيان الإستعمالات القرآنية لِمَعنى القضاء و القدَر و إنّما الكلام عن عقيدة القضاء و القدَر التي وردَتْ في الاحاديث و في الروايات الشريفة و التي لها مَساس في عقيدة الإنسان في مباحث التوحيد . كما قلتُ قبل قليل . و في مباحث العدل و مباحث الجبر و التفويض , فبَعد ان عَرفنا المعنى اللغَوي للقضاء و القدَر و انّ القضاء هو الإتمام و القضاء هو الفراغ من الشيء , و القدَر هو التقدير , و التقدير مأخوذ من المقادير (إنّا كُلَّ شيءٍ خلَقْناهُ بِقَدَر) هذه الآية هي الآية التاسعة و الاربعون من سورة القمَر المباركة (إنّا كُلَّ شيءٍ خلَقْناهُ بِقَدَر) ما من شيء , و الشيء تُطلَق على الموجود (إنّا كلَّ شيء) يعني كل موجود قد خلَقناهُ بِقَدر مُعيّن , و هذا القدَر الذي خُلِقَتْ به الموجودات و هذا التقدير يتعلَّق بالموجود في كل ابعاده : ــ في البُعد الزماني ــ في البُعد المكاني ــ في جهة الفعل في الموجود ــ و في جهة الإنفعال في هذا الموجود ــ في اجَلِ هذا الموجود و في الرزق المكتوب لِهذا المخلوق

و هكذا في سائر الشؤونات الاخرى التي ترتبط بِوجود هذا الموجود و بِخلقَته و بِحَياته , خِلقَةُ هذا الموجود و حياتُه و وجودُه , سائر ما ترتبط به من شؤونات في هذه الابعاد الثلاثة , كل هذه المسائل التي ترتبط به هي هذه التي تقَع في دائرة التقدير و في دائرة القدَر الإلهي .

و أمّا القضاء .كما قُلت . هو الذي يتعلّق بالسُنَن و بالقوانين الاصلية و الكُلية الحاكمة على هذا الوجود (بَديعُ السمَاوات و الارض) الآية السابعة بعد العاشرة و المائة من سورة البقرة الشريفة (بَديعُ السمَاواتِ و الارضِ و إذا قَضى امراً فإنّما يقولُ لهُ كُنْ فيَكون) بديع السماوات و الارض , و السماوات و الارض , هذا الإستعمال القرآني او هذا الإستعمال الذي وردَ في آيات الكتاب و في الاحاديث الشريفة استعمال عن كل العوالم و عن كل الوجودات لأنّنا حينما نتصَفّح الكتاب الكريم , حينما يتحدّث عن الوجود يضَعُ هذا العنوان للوجود الذي اوجدَهُ الباري سبحانه و تعالى , السماوات و الارض , سائر المخلوقات الاخرى , سائر العوالم الاخرى التي تَحدّث عنها الكتاب الكريم داخلة في هذا العنوان :

_ عوالم الملائكة _ عوالم الجان _ العوالم العُلوية _ العوالم السُفلية _ الأجرام السماوية على اختلاف اشكالها و حجومها

كُلّها داخلة تحت هذا العنوان : عنوان (السماوات و الارض) لأنّ الباري سبحانه و تعالى على طول الكتاب الكريم يَحتَجُّ على العباد بِهذا الوجود , بِوجود السماوات و الارض فَهو عنوان لِكُل ما اوجدَهُ الباري سبحانه و تعالى و عنوان لِكُل ما خلَقَهُ الباري سبحانه و تعالى (بَديع السمَاوات) بديع يعني هو الذي ابتدَعَها , هو الذي اخرَجَها لا تَشبَهُ شيئا و لم يكُن احَد قد سبقَهُ في خِلقَتها او في خِلقَة ما يُماثِلُها , هو كان و لم يَكُن معَهُ شيء , بديع السماوات و الارض , بالدقّة نفس المعنى الموجود في الاحاديث الشريفة (كانَ و لم يكُن معَهُ شيء , ثم بعد ذلك تكلَّمَ بِكَلمة فَخلَق الخلائق) من الصادر الاول , نَبيُّنا صلى الله عليه و آله و سلم و اهل بيته الاطهار و سائر المخلوقات التي تفتَّقتْ من انوارهم (بَديع السماوات و الارض و إذا قضى امراً) إذا قضى امراً يعني إذا اجرى سُنّة , إذا اجرى قانونا , إذا ارادَ ان يُحَقِّق شيئا في هذا الوجود (و إذا قضى امراً فإنّما) و إنّما هنا تفيد الحصر , إنّما هنا في الآية (فإنّما يقول له كُن فيَكون) و

القول هنا ليس على نحو القول المسموع و ليس على نحو النداء المقروع , إنّما هي ارادة الباري سبحانه و تعالى و إلاّ لا يقول الباري للشيء (كُن فيَكون) إنّما إذا ارادَ الباري سبحانه و تعالى تَحقّقَ الشيء حين الإرادة , ما إن يريد يَتحَقّق ذلك الشيء , لكن هذا التعبير تَعبير على نَحو الكناية (و إذا قضى امراً فإنّما يقول له كُنْ فيَكون) و هذه الآية الشريفة من اصرَح آيات الكتاب الكريم في الدلالة على معنى القضاء الذي بيَّنتُه قبل قليل , و هذا الكلام يرتبط بِمَسألة العِلَل التي اوجَدَها الباري سبحانه و تعالى في هذا الوجود و في هذا العالَم , العِلَل التي ترابَطَ بعضُها بِبَعض , واقعا نحن نتحَدّث في هذه المسألة .. (إلى هنا ينتهي الوجه الاول من الكاسيت) .

.. الآيات الشريفة و الاحاديث المعصومية المباركة , من خلال كل ذلك يمكن ان نتلَمّس معاني القضاء و القدَر و إلاّ حقيقة القضاء و القدَر و حقيقة هذه العقيدة بِكُل ابعادها ليست واضحة , بِكُل ابعادها , بِكَل اسرارها ليست واضحة لِبَني البشَر و إنّما كل الذي توَضّحَ لنا بِمقدار عقولنا و بِمقدار ما يتمكن الإنسان ان يَصل إلى معرفته و إلاّ حقيقة القضاء و القدر الباب فيها مَغلوق , و كثير من العقائد الباب فيها مغلوق بالنسبة لأسرار حقائقها و لذلك إمام الأُمّة رضوان الله تعالى عليه في كتابه (مصباح الهداية) حينما يَصلُ به الكلام إلى مبحث القدَر و مبحث القضاء , ماذا يقول ؟ هو ينقل هذه الرواية و يُعَلّق عليها تعليقا , اقرأ لكم هذه الرواية , الرواية يرويها شيخُنا الصدوق رحمة الله عليه في كتاب (التوحيد) قال رحمة الله عليه . اعني إمام الأُمّة . و من تلك العلوم التي تنكَشفُ على قلبك بالإطّلاع على المصابيح الماضية , مصابيح , هو قسَّمَ الكتاب مثلما تُقَسَّم الكتُب إلى فصول , ابواب , هو قسَّمَ الكتاب إلى مصابيح , كل فصل من الكتاب سَمّاهُ مصباحا (و من تلك العلوم التي تنكَشفُ على قلبك بالإطّلاع على المصابيح الماضية يظهر سِرٌّ من اسرار القدَر ــ سِرٌ من أسرار القدر ــ و ليس كل اسرار القدَر ــ يظهر سِرٌ من أسرار القدر فإنّ القوم ــ يعني المُتكلّمين , يعني الفلاسفة , يعني اهل الدراية , اهل العلم , اهل المعقول ــ فإنّ القومَ قد يقولون فيه اقوالا لا تُرضى و يذهب كلٌ من مذهبٍ لا يُرتَضى , و قد وردَ عن اهل بيت العصمة ــ وقد ورد عن أهل بيت العصمة خلاف ما توَهّموا , و نقضَتْ احاديثُ المعصومين عليهم السلام ما غزَلوا , كما في كتاب التوحيد لِشَيخنا صدوق الطائفة

رضوان الله عليه عن الاصبغ بن نُباتة , قال , قال أمير المؤمنين عليه السلام في القدَر) ماذا قال أمير المؤمنين ؟ التَفِتوا إلى هذه الرواية التي تكشف لنا عن هذه الحقيقة التي ذكَرتُها قبل قليل و هو انّ حقيقة اسرار القضاء و القدَر ليست واضحة لِبَني البشَر و إنّما الذي نتمكن من ادراكه بِحَسب مداركنا العقلية المحدودة , الرواية ماذا تقول ؟ رواية سيّد الاوصياء صلوات الله و سلامه عليه , يقول , **ألا انّ القدَر سِرٌّ من سرِّ الله , و سترٌ من سترِ الله , و حِرزٌ من حرزِ الله _ لاحِظوا , هذه الالفاظ مُترادِفة , مَعانٍ مترادفة لِتأكيد سريّة القدَر** _ ألا أنّ القدَر **مَرفوعٌ في حجاب الله _ هو سرٌ , هو سترٌ , هو حرزٌ , ثم ماذا ؟ هو مرفوع في مَختومٌ بخاتم الله , سابِقٌ في علم الله _ يعني هذه التقديرات و هذه السُنَن و الاحكام و الموازين و القوانين التي قضى بها الباري او قدَّرَها في مخلوقاته هي في علمهِ الازَلي جلَّ تعالى شأنُه و تقدّسَتْ ذاتُه عَمّا يقول المشرِكون _ وضَعَ الله العبادَ عن علمِه _ وضَعَهُم يعني انزَلَهم , قبل قليل هو قال (مرفوع في حجاب الله) يعني انّ العلم بأسرار القدَر مرفوع , و العباد وضَعَهُم الله عن العلم به , انّ عقولَهُم في منزلة , في مرتبة لا تتمكن من ادراك اسرار القضاء و القدر** _ و ضَعَ الله العبادَ عن علمه , و **رفَعَهُ فوق شهاداتهِم** _ فوق شهادتهم يعني فوق ما يشهَدونَهُ باعتبار انّهم يعيشون في عالَم الشهادة و في عالَم الإحساسات في عالَم الإدراكات التي يتمكنون من ادراكها و من استشهادها و من تَحسُّسها بِحَسب القوى المودَعة فيهم , القوى العقلية , القوى الوجدانية , القوى الحسيّة التي من خلالها يتحَسّسون و يستشعرون و يتعلّمون المعاني المحيطة بهم _ و رفَعَهُ فوق شهاداتهم , و **مبلَغ عقولهِم** _ يعني فوق المكان الذي (مبلَغ) يعني المكان الذي تَصل إليه

العقول , هناك حدود تبلَغُها العقول _ ورفعه فوق شهاداتهم ومبلغ عقولهم _ مبلغ , المكان الذي يبلغ إليه الإنسان و تنتهي عندَهُ الغاية , فَمبلغ العقول يعني المكان او الحدّ او الدائرة التي تتمكن العقول من الوصول إليها , من التفكير في دائرتها , فالباري رَفعَ اسرار القدَر عن مبالغ العقول , عن الاماكن و عن الدوائر التي تَصل قدُرات الإنسان الفكرية إليها _ ورفعه فوق شهاداتهم , ومبلغ عقولهم , لأنّهم لا يَنالونَهُ بِحَقيقة الربّانية , حتى _ حتى لو تجلَّتْ فيهم حقيقةُ الربّانية , حقيقة الربّانية بِحَسَبهم و إلاّ لا تَتجلّى فيهم حقيقة الربّانية بِحسَب الباري سبحانه و تعالى , الإبريق لا يسَعُ البحر , تتجلّى فيهم حقيقة الربّانية في اعلى درجات علمهِم , في اعلى درَجات ايمانهم (لأنّهم لا ينالونَهُ) يعني حتى اولئك الذين تَجلَّتْ فيهم حقائق الربّانية لا يُدرِكون , و لذلك علوم الانبياء , الانبياء أُيِّدوا بالحقائق الربّانية , أُيِّدوا بالقدرة الصمَدانية , أُيِّدوا بالعظَمَة النورانية , الانبياء أُيِّدوا بِهذه المعاني و كانوا مظاهرَا لِهذه الاوصاف و هذه الصفات لكن بقيَتْ دائرة علومهم مَحدودة , لأنّ اسرار القدَر بِكُلّها اين اودِعَتْ ؟ حينما نريد ان نُراجع الروايات , اين أودِعَتْ اسرار القدَر ؟ اسرار القدَر اودِعَتْ في اللوح المحفوظ , اسرار القضاء , اسرار القدَر اودِعَتْ في اللوح المحفوظ , و اللوح المحفوظ في حقيقته قَلبُ المعصوم صلوات الله و سلامه عليه , حقيقة اللوح المحفوظ قَلبُ المعصوم , قَلبُ عليٍّ صلوات الله و سلامه عليه , قلبُ النبي الاعظم صلى الله عليه و آله , قلب إمام زماننا عليه افضل الصلاة و السلام , و هناك الواح دون هذا اللوح , اشرَفُ الالواح التي أُثبِتَتْ فيها اسرار التقدير , اسرار القضاء , اسرار السُنَن في هذا الوجود , اللوح المحفوظ و لذا أمير المؤمنين عليه السلام في خُطَبه الإفتخارية (و انا اللوح المَحفوظ) في اكثر من خطبة من خُطَبه الإفتخارية يُبَيِّن لنا هذا المعنى حين يقول (و انا اللوح المَحفوظ) اللوح المَحفوظ في حقيقته , في جوهره قلبُ المعصوم صلوات الله و سلامه عليه , ربّما عُبِّرَ عن اللوح المحفوظ في بعض الروايات او في كتُب العُلَماء بأنّه من اشرَف الملائكة , و بأنّه ملَكٌ كريم من الملائكة المُقرَّبين , هذا التعبير _ هذا التعبير تعبير على نحو الكناية _ هذا

التعبير على نحو الكنايه , مثلما وردَ في بعض الروايات الشريفة (اول ما خلَقَ الله ملَكٌ كَرّوبي) و رواية تقول (اول ما خلَقَ الله القَلَم , اول ما خلَقَ الله العقل , اول ما خلَقَ الله العرش , اول ما خلَقَ الله نوري) صلى الله عليه و آله و سلم , القلَم , العرش , ملَكٌ كرّوبي , كنايات , مصطلحات , اسماء , عناوين عن الذات المحمّدية الاولى صلى الله عليه و آله و سلم , فاللوح المحفوظ , ربّما وقعَ في بعض الروايات بأنّه ملَكٌ كريم او وقعَ في عبائر علمائنا في كتُبهم بأنّه من اشرف الملائكة و انّه المصدر العلمي لِملائكة السماء , و جبرائيل عليه السلام يأخذ علمَهُ من اللوح المَحفوظ و القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ و لذلك حينما نقرأ في حديث سلسلة الذهب , عن إمامنا الرضا عن آبائه , اجداده المعصومين صلى الله عليهم اجمعين عن رسول الله صلى الله عليه و آله عن جبرائيل عن ميكائيل عن اسرافيل عن اللوح , لأنّ جبرائيل , ميكائيل , اسرافيل يأخذون عن اللوح , عن القلَم عن الله سبحانه و تعالى , انا لا اريد ان ادخل في تفاصيل معنى اللوح و معنى القلَم و إن كان لِهذا البحث ارتباط بِنَفس ما وردَ في سورة نون و القلم (ن و القلَم و ما يَسطُرون) هذه (نون) اشارة كما يقول إمام الأُمّة رضوان الله عليه , هذه (ن) التي تُكتَب بِشَكل هلال في وسَطه نقطة , كما يقول إمام الأُمّة رضوان الله تعالى عليه , هذا الهلال اشارة إلى الملائكة الهائمة في هذه النقطة , تلك النقطة التي كانت تَحت الباء , نَحن لا نريد ان ندخل في هذه التفاصيل باعتبار انّ اللوح المحفوظ له ملائكة يَخدمونَهُ و جبرائيل من خُدّام خُدّامهِ , جبرائيل ينقل عن ميكائيل عن اسرافيل عن اللوح المحفوظ , و اللوح المحفوظ الحقيقة العَلَوية , اللوح المحفوظ حقيقة اهل بيت العصمة صلوات الله و سلامه عليهم اجمعين , على أي حال اعود إلى الرواية , هذه المباحث ربّما في دروسنا في الآداب المعنوية نَصلُ إلى مثل هذه المطالب , نُبَيِّنها في حينها بِحَول الله .

قال , لأنّهم لا ينالونَهُ بِحَقيقة الرَبّانية , و لا بِقُدرَة الصمَدانية , و لا بِعَظمَة النورانية , و لا بِعزَّة الوحدانية , لأنّ الانبياء تَجلَّتْ فيهم هذه المعاني لكنهم لم يأخذوا من اللوح المحفوظ مباشرة و إنّما اخَذوا من وسائط فيما بينهم و بين اللوح المحفوظ , و الوسائط التي فيما بينهم و بين اللوح المحفوظ لم تَكُن مشتملة على كل ما في اللوح المحفوظ , هذه الوسائط فيها اسرار من اسرار

التقدير , فيها اسرار من اسرار القضاء , لكن هذه الاسرار لم تَكُن مُثبتَة بِكاملها في هذه الالواح المحفوظة التي هي وسائط فيما بين الانبياء و فيما بين اللوح المحفوظ الجوهر الاصل , لماذا ؟ يقول , لأنّه بَحرٌ زاخِر , يعني هؤلاء الذين تَجلَّتْ فيهم هذه الاوصاف لا ينالونَهُ , لأنّهم لا ينالونَهُ بِحَقيقة الرَبّانية , و لا بِقَدرَة الصمَدانية , و لا بِعَظمَة النورانية , و لا بِعزّة الوحدانية , لأنّه بَحرٌ زاخر , خالِص لله تعالى _ خالصٌ لله تعالى , عمقُه ما بين السماء و الارض , قبل قليل قُلت , السماء و الارض كناية , اشارة إلى كل الوجود , عمقُه ما بين السماء و الارض , عَرضُه ما بين المشرق و المغرب , اسوَد كالليل الدامس , يعني انّ الناس لا تهتدي إلى اسراره , أسود كالليل الدامس , كثيرُ الحَيّات و الحيتان , يعلو مرّةً و يَسفُل اخرى , في قَعرِه شَمسٌ تُضيء , لا ينبغي ان يَطَّلع إليها إلاّ الله الواحد الفَرد , فَمَن تطَلَّع إليها فقد ضادَّ الله عزَّ و جل في حُكمه , و نازعَهُ في سلطانهِ , و كشَفَ عن سترهِ و سرِّه , و باءَ بِغَضَبٍ من الله و مأواهُ جهنّمُ و بئس المصير , هذه الرواية تشتمل على حقائق كثيرة لكن الذي نستخلصُه من هذه الرواية لِدَرسنا في هذا اليوم هي هذه الحقيقة التي اشَرتُ إليها قبل قليل , انّ حقيقة القدَر و انّ اسرار القضاء الإلهي و التقدير الإلهي لا تتمكن هذه العقول من الوصول إليها و إنّما كل الذي نُدرِكُه , نُدرِك بِحَسب قدُراتنا العقلية و هذه الحقيقة ربّما غفَلَ عنها الكثير من الذين كتَبوا في مباحث القضاء و القدَر و لذلك خبَّطوا في القول , و لذلك كثير من الذين كتَبوا في هذه المسألة لم يَصلوا إلى نتيجة واضحة , بقيَتْ النتيجة ليست واضحة بالشكل الصريح و السرُّ هنا , انّ هذه المسألة من المسائل التي لم تكُن اسرارُها واضحة على حقائقها بالنسبة لنا و إنّما كل الذي نُدرِكُه هو صورة اجمالية عن حقائق القضاء و عن حقائق التقدير الإلهي و لذلك إمام الأُمّة رضوان الله تعالى عليه بعد ان ذكَر هذه الرواية يقول مُعَلِّقا (صدقَ وليُ الله) يعني الأمير عليه السلام (و لَعَمرُ الحبيب انّ في هذا الحديث الذي صدرَ من مصدر العلم و المعرفة اسرارا) في هذا الحديث _ في هذا الحديث اسرارا و إلاّ ليس في القدَر و القضاء , تلك اسرار خَفيّة , في هذا الحديث (انّ في هذا الحديث الذي صدرَ من مصدر العلم و المعرفة اسرارا لا يبلغ عُشراً من اعشارِها عقول اصحاب العرفان فضلا عن انظارنا القاصرة

و افكارنا الفاترة) إلى آخر كلامه الشريف , نفس الكلام و نفس البيان الذي اشَرتُ إليه قبل قليل و هو انّ حقيقة اسرار القضاء الإلهي و التقدير الإلهي لا تتمكن عقولنا من ادراكها , كل ما نتمكن من معرفته هو المعرفة الإجمالية لِمَعنى القضاء الإلهي و لِمَعنى القدَر الإلهي و الذي يلزَمُ علينا هو التسليم و الرضا بِقَضائه سبحانه و تعالى و هو هذا التوحيد , حينما سألوا الإمام الصادق صلوات الله و سلامه عليه , ما التوحيد يابنَ رسول الله ؟ الإمام هنا يُبَيّن اعلى مراتب التوحيد , قال , الرضا بِقَضاء الله و قدَرِه , و هذا التوحيد , قال (التوحيد الرضا بِقَضاء الله و قدَرِه) الرضا بقضاء الله وقدره لا على هذا الفَهم الساذج , نحن إن شاء الله في الدروس الآتية , أُبَيّن وجوها اخرى من خلال ما جاء في الاحاديث الشريفة و من خلال ما جاء في الآيات الكريمة في معنى القضاء و القدَر لكن مع كل ذلك تبقى هذه الدائرة من المعلومات بِحدود مَدارِكنا و لذا هذه الرواية التي يذكرها شيخُنا الصدوق رحمة الله عليه ايضا عن إمامنا أمير المؤمنين عليه افضل الصلاة و السلام حينما جاءَهُ رَجُل و قال يا أمير المؤمنين اخبِرْني ما القدَر ؟ ماذا قال له أمير المؤمنين عليه السلام ؟ قال , بَحرٌ عميقٌ لا تَلِجْهُ , يعني لا تسأل عن هذا المعنى ــ بحرٌ عميقٌ لا تلجه , الولوج في البحر يعني الدخول في اعماقه , الدخول إلى اغواره , قال ما القدر , قال بحرٌ عميق لا تلجه , لم يقتَنع بِهذا الكلام , قال ما القدَر يا أمير المؤمنين ؟ مرة ثانية , قال طَريقٌ مُظلِم فلا تَسلُكْهُ , لم يَقتنع ايضا بِهذا الكلام , قال ما القدَر يا أمير المؤمنين ؟ قال سِرُّ الله فلا تتَكلَّفْهُ , لم يقنع ايضا بِهذا الجواب , قال ما القدَر يا أمير المؤمنين ؟ قال أمّا إذا ابَيْت فإنّي سائلُك , هل كانت رحمةُ الله للعباد قبل اعمال العباد أم كانت اعمال العباد قبل رحمة الله ؟ قال إنّ رحمة الله للعباد كانت قبل اعمال العباد , فالأمير صلوات الله و سلامه عليه التفَتَ إلى اصحابه , قال قوموا فَسَلِّموا عليه ــ قوموا فسلموا عليه إنّ اخاكُم قد اسلَم فقد كان كافرا .

بيان معنى هذه الرواية إن شاء الله يأتينا في الدرس الآتي و تَتمّة الكلام في الاسبوع الآتي بِحَول الله تعالى و قوّته .

و آخر دعوانا ان الحمد لله ربّ العالَمين

ملاحظة :

(1) الافضل مراجعة الكاسيت لاحتمال وجود بعض الاخطاء المطبعية .

(2) و قد تكون بعض المقاطع غير مُسجَّلة من الوجه الاول و الثاني للكاسيت فَيُرجى مُراعاة ذلك .

(و نسألُكم الدعاء لِتَعجيل الفرَج)